على هامش التربية

أبنـــاؤنا

ما لهم من حقوق ، وما عليهم من واجبات

للأستاذ عيسى متولى

لم يكن مبالغا هذا الحكيم العربى حين وصف الأبناء بالأكباد تمشى على الأرض، بل لقد أصاب بوصفه هذا كبد الحقيقة وعين الصواب ، فهذه حقيقة لا مراء فيها ؛ يلمسها كل أب تختلج فى صدره عاطفة الأبوة ، وتلمسها كل أم تختلج فى صدرها عاطفة الأمومة ، فحب الوالد لولده ، أو الأم لوليدها ، لمضرب المثل لأسمى عاطفة عرفها الانسان فى هذا الوجود وأحس بها ، لاتدانيها عاطفة ولا يسامتها شعور ، فحب الأب لابنه حب خالص لاتشوبه شائبة ، يحبه بقدر ما يحب نفسه ، بل وأكثر مما يحب نفسه ، لأنه جزء من نفسه ، وفلذة من كبده .

ومهما حاول الابن أن يرد صنيع أبيه فلن يبلغ حقيقة الوفاء ؛ لذلك فرضت على الولد واجبات نحو أبيه الذى رعاه ورباه ، وحباه بعطفه ، وافدق عليه حبه وحنانه .

ولقد قرن الله الأمر بطاعته بالأمر بطاعة الوالدين والإحسان اليهما :

" وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا " .

وكما أن على الولد لوالده واجبات ؛ فان له عليه حقوقا ، ومن مجموع هذه الحقوق تتكون " رسالة الأبوة " وليست رسالة الأبوة قاصرة على رعاية الطفل وإطعامه حتى يكبر ولكن لها آفاقا أبعد من ذلك ، فتفرض على كل والد أن يحسن تربية ولده ، وألا يدخر وسعا فى تهذيبه وتنشئته النشأة الصالحة القويمة ، فيربى فيه الروح قبل الجسد ويوجهه وجهة الخير والسداد ، ويرشده الى مافيه نفعه ونفع المجتمع ، ويجنبه كل طريق شائك ، فهو وليه ورأعيه . وكل راع مسئول عن رعيته .

وللآباء فى تربية أبنائهم مذاهب شتى، ولكل منهم رأيه فى منهج الذى ينهجه، والطريق التى يسلكها ، فمنهم من يعمد إلى القسوة و يراها أصلح طريق للتهذيب وتقويم المعوج من خلق الطفل ، ومنهم من يؤثر طريق الحكمة واللين، لأيمانه بأنها أجدى من وسائل العنف والشدة ، ومهما تباينت الآراء واختلفت الميول ، فما لا جدال فيه أن التربية يجب أن تقوم على اللين والقسوة معا . اللين حين يرجى معه النفع ، والقسوة حين لا يجد اللين ، وليس من الحكمة أن نقتصر فى تربية أبنائنا على سياسة القوة وحدها ، إذ قد تضر هذه السياسة بالطفل ولا تفيده، لأنها تعوده الاستكانة والخضوع للقوة فى أى مظهر من مظاهرها فتكبت عواطف الطفل وتميت فيه الرجولة ، كما أنه ليس من الحكمة أن نقتصر فى تربية أبنائنا على سياسة اللين وحدها ، إذ كثيرا ماتضر هذه السياسة بالطفل لأنها تعوده الاستهتار وعدم المبالاة بالأمور .

يسرف بعض الآباء فى تدليل أطفالهم إسرافا يضر الطفل ضررا بليغا ، ويحسبون أن هذا التدليل لون من ألوان الحب أو ضرب من ضروب الحنان الذى يجب أن يشمل به الطفل والواقع أنهم يحنون عليه أشنع جناية، فاذا ما بدأ لسان الطفل يتحرك بالكلام لقنوه الكلمات البذيئة، يوجهها الى والديه ، على مسمع من الأهل والأصدقاء ، فيقابلونها منه بمنتهى الغبطة والفرح ، و يستعيدونها مرارا وتتخاطفه الأيدى ، و يتسابق الكل الى رفعه وتقبيله ! . . . وما أعظم ابتهاج بعض الآباء حين تمتد نحوهم أيدى أبنائهم بالضرب والصفع !

إننا نغرس فى نفس الطفل أسوأ الطباع حين نسرف فى تدليله إلى هذا الحد ، كما أننا نسيء التصرف حين نلبي كل طلبات الطفل فنأتيه بكل ما يطلب خشية بكائه . لأننا نصور له الحياة سهلة المنال ، فنعوده منذ صغره القعود عن السعى ، و بلوغ أمانيه عن طريق سهلة لا تكلفه شيئا من الجهد أو العناء ، والجزع عند أول صدمة يصطدم بها . والأولى بنا أن نذيقه طعم الحرمان فلا نيله كل ما يطلب ، لنعوده الصبر وتحمل الشدائد، وعدم اليأس من النجاح ، حتى اذا بلغ أشده وعرك الحياة وعركته استطاع أن يشق طريقه ويخوض غمارها دون أن يتسرب الى نفسه يأس أو قنوط .

إن هؤلاء الطلبة الذين يعمدون إلى الانتحار لرسوبهم فى مادة من مواد الامتحان قد جنى عليهم آباؤهم إذ عودوهم منذ صغرهم الجزع عند الصدمة الأولى، فخارت عزائمهم ، ووهنت ارادتهم .

وليست تربية الطفل قاصرة على المدرسة وحدها ، بل هناك مدرسة أخرى تكمل تربيته هى " البيت " والوالد هو القدوة الأولى لأبنائه ، يقتدون به فى كل شيء و يترسمون خطاه ، كما أن الأم هى القدوة الأولى لبناتها ، يقتدين بها فى كل شيء و يترسمن خطاها ، فمن واجب

الآباء والأمهات أن يخفوا عن أبنائهم عيوبهم الشخصية ما استطاعوا ، وأن يضربوا لهم أطيب المثل وأعلاها .

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الآباء والأمهات مناقشاتهم على مرأى ومسمع من أبنائهم وبناتهم في حالات الغضب ، وهذه ظاهرة سيئة في مجتمعنا ، وأعرف أسرا إذا اختلف الأب والأم في مسألة من المسائل وتنازعا ، احتكما إلى أبنائهم وبناتهم ، فيسأل الأب إذا كانوا يقرونه وينضمون الى رأيه ضد أمهم ، كما تحاول الأم بدورها استمالة الأبناء ضد أبيهم .

هذا النظام " الحزبي " في الأسرة لا يرجى من ورائه إلا تفكك الأواصر ، وانفصام العرى ، وتفرقة القلوب .

ويجب أن يوجه الوالد عنايته إلى توجيه طفله الوجهة الصالحة ، فيتبين ميوله وغرائزه ، ويرسم له الخطة التي ينهجها ، ويربي فيه الشخصية القوية ، ويعلمه معنى الاعتزاز بشخصيته ، ليكون منه الرجل الكامل ذا الشخصية القوية المعززة .

إن العرب يقولون : " لاعب ابنك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اتركه حبله على غاربه " . فلو أمكننا تطبيق هذه النظرية في التربية كان في مقدورنا أن نخرج للمجتمع رجالا كاملي التربية والتهذيب وهم في مستهل الحلقة الثالثة من العمر دون أن يساورنا الخوف على مستقبلهم .

وفي يقيني أن الشاب إذا بلغ هذه المرحلة أصبح لا يخشى عليه إلا من رفاق السوء . أقصد شياطين الإنس ، الذين يزينون له طريق الغواية والفساد ، ومن واجب كل والد أن يجنب أبناءه الاختلاط بمن لا يطمئن إلى مخالطتهم ، خشية التأثر بهم والاندفاع في تيار غوايتهم والانسياق لأهوائهم ، كما أن من واجب كل أم أن تجنب بناتها الاختلاط بمن لا تطمئن إلى مخالطتهن خشية التأثر بهن .

كما أن هناك تيارات أخرى يخشى منها على النشء ، منها " الهواية " فمن بين الهوايات ألوان ضارة ، سيئة الأثر ، كهواية " السينما " التي يشغف بها الكثيرون من الشبان والطلاب فتراهم ينصرفون عن دروسهم ليقبلوا على هذه الهواية التي يهوونها .

إننا لا ننكر فضل "السينما" كعامل من عوامل نشر الثقافة ، ووسيلة من وسائل التسلية ولكن يجب ألا يغيب عن أذهاننا ذلك الأثر السيء الذي تتركه بعض الأفلام في نفوس النشء ، فمن واجب الآباء والأمهات أن يتخيروا لأولادهم الأفلام التي يشاهدونها ، والكتب التي يقضون بصحبتها أوقات فراغهم ، ليجنبوهم شر التأثر بما يشاهدون ويقرأون ، وهناك

هوايات أخرى كثيرة ، وفنون رفيعة أولى بنا أن نغرس حبها فى نفوس أبنائنا ليستفيدوا بها ، وليتسع نطاق معلوماتهم .

وتخطئ الأم حين تهدد ولدها بإعطاء ما معه من الحلوى الى أخيه أو الى طفل آخر لتحمله على الكف عن البكاء ، لأنها بذلك تبث فى نفسه الأنانية والأثرة ، إذ تشعره أن مشاركة أخيه له فى قطعة الحلوى ضرب من ضروب العقاب ، يستهدف له إذا لم يزل عند إرادة الأم ، فيكف عن البكاء .

هذا خطأ تقع فيه الأمهات يجب أن يتداركنه ، فتحبب الأم إلى طفلها إخوته ولداته ، ومساعدة الغير بكل ما يملك ، وتشجعه على ذلك بكل الطرق والوسائل ، لتغرس فى نفسه حب الخير والتعاون والعطف والإحسان .

ومن النواحى التى يجب أن يوليها الآباء عنايتهم تعويد أبنائهم منذ الصغر الادخار ، وتشجيعهم عليه ، ومكافأتهم بمختلف الهدايا كلما ادخروا مبلغا كبيرا ، وبذلك تنمى فى الطفل ملكة الادخار ، حتى إذا ما اكتملت رجولته كان له من ذلك خير سلاح يقيه مغبة الإسراف والتفريط .

والمفروض على كل والد أن يدخر لأولاده ما يستعينون به على العيش من بعده ، فالمال عصب الحياة ، والوسيلة إلى كل غاية ، فاذا كان الأب مسرفا ولم يخلف لأولاده شيئا ، كان من الصعب عليهم أن يشقوا طريقهم فى الحياة ، وقد خلت أيديهم من السلاح ، وربما انتهى بهم الأمر إلى ما لا تحمد عقباه .

فالوالد الحكيم يجب أن يدخر فى حياته مبلغا يقيم أود ذريته ، ويكون له عونا بعد مماته ، وألا يميز ولدا عن الآخر أو يؤثر وحده بشىء دون إخوته ، لأن هذا التمييز يثير الحقد والعداوة فى قلوب الأبناء ، ولنا فى قصة يوسف عليه السلام و إخوته ما يؤكد لنا ذلك ، و يصور لنا أثر التفضيل بين الأبناء .

هذه بعض نواحى النقص فى التربية ، رأيت أن أبسطها فى هذا المقال ، ليعمل كل منا على تداركها وتلافيها قدر إمكانه .

عيسى متولى

تم طبع هذه الحلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٢٦ من صفر سنة ١٣٦٣ الموافق
(٢١ من فبراير سنة ١٩٤٤) م
مدير المطبعة الأميرية
محمد بكرى